الدكتور جواد حسني، وهو طبيب، تصبح الكتابة عن وليد همه الأوحد، وقضيته المركزية. ها هو في الصفحات الأخيرة من الرواية، يصف حالته مترجماً لحياة وليد:

«ولئن كنت لأكثر من سنة حملت معي الغابة، فإنني أحمل البحر أيضاً. لا أنام إلا وأنا مرهق، في ساعة متأخرة، وهالة تحذّرني من التعوّد على حبوب النوم. غير أنها لا تعلم أن سعيي في العودة بالمركّبات إلى أولياتها، ومضاهاة الجزء بالجزء، وتحديد الفجوات... يتوحّد الكون في غرفة صغيرة، مكتظّة اكتظاظ الغابة، مائجة موج البحر، وأتوحّد أنا فيه. فأتقد وأنقذف وأتهاوى في فضاءات مدوّمة كقطعة من الشمس انتشرت عنها، وتطوّحت في فضاءات كون مجهول راعب، رائع...».

ونحن نلتقي بجواد حسني في معظم صفحات الرواية وفصولها، ولكننا لا نكاد نعرف عنه شيئاً. لا هم له، ولا حديث إلا وليد. والمرة الوحيدة التي يدور فيها حديث بين الدكتور حسني وزوجته، هي عندما تحكي عن إحدى علاقات وليد النسائية. تقول الزوجة:

ــ كل يوم يطلع بجديد.

ــ خير؟

وتحكي «جنان حدّثتني اليوم بأشياء ما كنت أتصوّرها.

ــ أتدري أنها كانت تحب صديقك وليد؟

ــ نعم! كانت بينهما علاقة لسنة، أو لأكثر. والمسكينة تعذّبت كثيراً من أجل صديقك هذا، وفجأة تخلى عنها.

ــ يظهر أن وليد من النوع الذي لا يوفّر إمرأة إذا اعترضت سبيله.

وهذه الزوجة لا توجد إلا لتقول كلاماً عن وليد. ثم لا نعرف عنها شيئاً.

والدكتور طارق، الطبيب النفسي الكبير، ينخرط في دراسة كبيرة عن وليد. يبدأها ــ للعجب ــ بدراسة برجه، وهو الحدي. فيستعيد عبارة أحد العلماء القدامى، فيرميكوس، باللغة اللاتينية:

«إن الذين يولدون وبرج الجدي في صعود، يكون لهم مظهر خدّاع، يخفي حقيقة شخصيتهم. وجوههم رصينة، ولحاهم طويلة وجباههم عريضة عنيدة. وما ذلك كله إلا زيف وخداع. لأن من طبيعتهم الحقيقية أن يكونوا ماجنين خلعاء، تفترسهم لواعج الشبق، وتلتهمهم نيران الحب. وكثيراً ما يقعون ضحية شهواتهم الشريرة فيضطرون إلى قتل أنفسهم...»

ويعلّق الدكتور طارق على ذلك: «أنها صورة، ولو كاريكاتورية بعض الشيء، لوليد مسعود...»

ويستنتج من ذلك: «وليد انتحر، مهما تدل القرائن على العكس...»

وهو يحاول إقامة علاقة جسدية مع مريم الصفّار، التي يعالجها نفسياً، توافقه مرة ثم ترفض بعد ذلك. يسألها إن كانت لها علاقات، مع آخرين غير وليد، تقول: